النص وأفق التفكيك عند "جاك دريدا"

research title: the text and the disassembly horizon for" Jacque Derrida"

د/ عبد الحميد واضح،

جامعة البليدة2

البريد الالكتروني: ouadahabdelhamid@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/10/23 تاريخ القبول:2019/11/21 تاريخ النشر: 2019/12/12

ملخص:

نحاول في هذا العمل الوقوف على إستراتيجية التفكيك عند "جاك دريدا" التي أسسها من خلال ذلك الإختلاف الموجود في عالم اللغة والذي يظهر في فضاءات النص، وكذا أهم الآفاق التي من شأنها أن تحرر هذا النص سواء من المؤلف ببحث المعنى دون الرجوع إلى ما يقصده هذا الأخير، أو تحريره من اللغة التي تسجنه، فمن ثم يكون الإختلاف نوعا من التحديد لمدلولات الكلام، فدلالة الكلمة تتحدد من خلال كلمات أخرى، وهذا ما جعل "دريدا" يحاول الخروج من مركزية الأشياء في الثقافة الغربية التي طالت جميع جوانب الفكر إلى اللامحدودية في التأويل والفكر الحر، ومن ثم التأسيس لهذه الاستراتيجية التفكيكية التي لا تؤمن إلا بالنقد والتجاوز على حساب القبول والثبات، والتمرد والانقلاب على حساب الخضوع والاستسلام.

- الكلمات المفتاحية:

جاك دريدا، النص، التفكيك، اللغة ، القراءة، الاختلاف، النقد.

-Abstract:

In this work, we try to identify the strategy of disassembly by "Jacque Derrida", which he founded through the difference in the world of language, which appears in the spaces of text, as well as the most important perspectives that would liberate this text, whether from the author by searching the meaning without referring to what this means. The word is determined by other words, and this is what makes Derrida trying to get out of the centrality of things in the Western culture that touched all aspects of thought to infinity in the interpretation of Free thought, and then the foundation of this strategy of disassembly that believes only in criticism and transgression at the expense of acceptance and steadfastness, rebellion and coup at the expense of submission and surrender.

-key words:

"Jacques Derrida",Text, disassembly, language, reading, variation, criticism.

1. مقدمة:

يعد "جاك دريدا" (1930- 2004) من أبرز الفلاسفة والنقاد الذين إهتموا بالفكر الفلسفي والأدبي المعاصر من خلال تفكيكيته الخاصة التي طرحها لمجابهة كل التصورات التي من شأنها وضع مفاهيم تدعوا إلى التمركز، ومحاولته كسر هذا الوضع السائد والمترسب في ساحة الفكر الإنساني، وكذا التمرد على البنيوية وأبجدياتها، ومن ثم فتح المجال للفهم الحر والتساؤل حول التقاليد السابقة التي طالت النصوص المختلفة

لاسيما ما تعلق بالفهم الخاطئ لها، خاصة النص الديني الذي يعد من أهم النصوص عند "جاك دريدا"، ومنه يطرح السؤال الهام والذي من شأنه طرق أبواب المستقبل مع هذا الفيلسوف الطموح في الحياة وكشف أغوارها في جميع جوانب الفكر والمعرفة. ما مفهوم النص؟ وما هي الآفاق التي رسمها "جاك دريدا" من خلال إستراتيجيته التفكيكية ؟.

2. في مفهوم النص:

يظهر النص في مجال الدراسات اللسانية والأدبية ومع مجموعة المفكرين أمثال: "رولان بارت" و"أمبرتو إيكو"وغيرهم على أنه من المفاهيم التي لم يتم تحديدها بصورة واضحة، نظرا لتعدد وتنوع السياقات التي يظهر من خلالها، "فبعضهم يقصر إجراءه على الخطاب المكتوب بل على الأثر الأدبي، ويرى فيه آخرون أنه مرادف للخطاب" [(1)]. إلا أنه لا يقتصر على هذا الحد فهو يشمل أيضا مجال السيميائيات كالنصوص الموسيقية وغيرها، فهو كل بنية كلامية مكتوبة أومنطوقة تؤدي وظيفة تواصلية معينة.

وعلى غرار هؤلاء فقد إهتم "بول ريكور" بالنص باعتباره وحدة أساسية من وحدات الخطاب، "فهو يقسم الخطاب إلى وحدات: الكلمة، الجملة ثم النص، وهنا يتساءل "ريكور" نفسه ما هو النص؟، ليجيب في نفس الوقت على أن كلمة نص تطلق على كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة" [(2)]، وهنا يمكننا القول من خلال هذا التعريف أن "بول ريكور" يستبعد الخطابات الغير مكتوبة عن النص، أي أن الكلام المنطوق لا يعبر عن النص، وإنما هو محاورة بين شخص وشخص آخر، أو بين جماعة ما، وبالتالي يظهر هناك تمييز بين الكلام والكتابة، وإذا كان الكلام أسبق من الكتابة فإن هذه الأخيرة تحفظ هذا الكلام من خلال تدوينه، ومن ثم تحفظ وجوده وإستمراريته حتى يتم استخدامه، وعليه فهي العامل الأساسي الذي يضمن وجود هذه النصوص المختلفة، سواء كانت عبارة عن حكايات أو قصص أو أشعار وغيرها من هذه النصوص بتعدد ألوانها.

فالكتابة هي ما يشكل فعل ولادة النص، "فهذا التثبيت أمر مؤسس للنص ذاته ومقوم له"[(3)]، فمن خلال التعريف الذي يرى بأن النص هو خطاب وقد يكون مكتوبا، ففي هذه الحالة فهو نص من النصوص، وبالتالي وجب فهمه كنص لما يحمله من معاني وتساؤلات مختلفة، "وبذلك فالتأويل هو محاولة للإجابة على السؤال الذي يطرحه علينا النص، وفهم النص هو فهم للسؤال، وهذا لا يتحقق إلا بفهم أفق المعنى، أو أفق التساؤل الذي يمكن من خلاله تحديد المعنى، والنص هو جواب عن سؤال يطرحه موضوع النص وليس المؤوّل"[(4)]، حتى يتبين القصد الذي من أجله تستخدّم النصوص، على أنها تطرح مواضيع وجب التطرق إليها ومعرفتها بأي شكل من الأشكال.

يظهر النص بشكل عام بعدة أنواع منها: النص المترابط أو المتعالق وهو النص الخاص بالمجالات الالكترونية كالحواسيب، ويعد من أعقد النصوص وأكثرها تطوراً، نظراً لإستعمالاته المختلفة في العديد من المجالات المعرفية، وكذا سهولة تناوله بين الكاتب وقراءه، كما هناك النصوص المفتوح والنصوص المغلقة والتي نجدها مع "أمبرتو إيكو"، وكذا النص المقروء والمكتوب مع "رولان بارت" مما يجعل من النص يمتاز بخاصية التنوع، وذلك بتعدد السياقات التي يظهر من خلالها[5].

3. معنى التفكيك:

يعتبر مصطلح التفكيك من المصطلحات التي يشوبها الغموض والضبابية فالتفكيك ليس منهجا كما انه ليس نظرية في الأدب وليس فلسفة أو جملة من الأطروحات بل هو " إنفتاح على سؤال الفلسفة نفسها، وهو إستراتيجية في القراءة تقوم على قراءة الخطابات الفلسفية والأدبية والنقدية من خلال التموضع داخل الخطابات وتقويضها من داخلها.[6] بل في كل اتجاهاتها دون تمييز، "إن التفكيك لا يقوض الحقيقة باسم حقيقة أخرى أو حقيقة مضادة وهذا بالضبط ما يميز النقد المعروف والمتداول كما أنه لا يدعي تكذيب موقف باسم آخر، وهولا يتجاوز الميتافيزيقا بمهاجمتها ومحاكمتها وإنما يسعى إلى أن يبين أنها لم تتوفر قط على ما تدعيه من اكتفاء وامتلاء ويقين"[7]، فالحقيقة ليست ثابتة وواحدة بهذا المعنى، وإنما وجب إخضاعها للنقد والتشريح حتى يتسنى معرفة تداعيات أخرى قد تظهر بعد هذا الجهد القائم على البحث الخاص، وبهذا يصبح التفكيك "إستراتيجية تعتمد على آلية الكشف والبحث عن البنى الخفية أو المطمورة عبر فضاء فكري جديد ومغاير، ومن خلال رؤية فكرية تهدف إلى خلخلة أو تصديع بنية الخطاب بحثا عن أنظمته الدلالية".[8]

فالتفكيك هو عودة إلى الأصول التي يسلم بضرورة اختراقها على أساس أنها بديهيات لا يمكن تجاوزها، فالأصل في التفكيك ليس ماثلا بل هو أثر، بحيث يحضر ويغيب في الآن ذاته ويظل لا مدركا على الدوام. وقد إستعار "دريدا" مفهوم الأثر من "إيمانويل ليفيناس" الذي يجاوز به الأصل الميتافيزيقي كقمة للكينونة إذ أنه لا يخضع للتحديدات الزمانية الميتافيزيقية.[9] مما يجعل منه مفهوما حرا ومتمردا ليس كباقي المفاهيم الاخرى، فهو يمتلك نوعا من التحول المنهجي من معارضة ونقد، إلى إنقلاب وتمرد وغيرها من الاشكال والألوان التي يمكن أن يظهر فيها، إنه مفهوم دائم البحث عن المعنى الغائب حتى وإن كان حاضرا.

4. من البنيوية إلى التفكيكية:

بعد ماشهدته البنيوية من مكانة هامة في ساحة الفكر الغربي واعتبارها منهجا علميا لا يمكن المساس به، ظهرت في المقابل وفي أوروبا بالخصوص بعد ثورة 1968 وما شهدته من تحولات فكرية طروحات جديدة تمثلت في التفكيكية، والتي جاءت كممارسة نقدية محاولةً تجاوز البنيوية، مما جعل ذلك التحول من الفكر البنيوي إلى ما بعد البنيوية، وذلك لما قام به هذا الفكر الجديد وتخطيه لكل التقاليد السابقة والتشكيك فيها ومساءلتها من جديد، بهدف إعادة البناء وفتح المجال للفكر المبدع. حيث جاءت التفكيكية كإستراتيجية لتدرس النصوص وفق الثورة على القيم السابقة وكل ما يعرقل المعنى ويؤدي إلى تغييبه، ولذلك "فقد لقيت معارضة شديدة من قبل الثقافة الفرنسية، وعلى إثرها جرى إنتقال التفكيك إلى أمريكا ... والتفكيك في حقيقته هو ممارسة قام بها "جاك دريدا" من خلال عدة مقولات، منها التمركز حول العقل، والتمركز حول الصوت، التشتيت، الإختلاف، علم الكتابة، ليسائل به الفكر السائد، ليقيم له صرحا جديدا خاليا من التمركزات التي تأسست منذ أمد بعيد"[(10)]. وبهذا فهي ممارسة تفكيكية تحاول القضاء على كل البناءات السابقة وبحث المعرفة من جديد، وذلك من خلال النصوص التي يجد فيها القارئ نوعا من الفكر الحر في التعامل معها وبالطريقة التي تناسبه.

فهي ممارسة نقديةبناءة تحاول إعادة بناء المعرفة، أي كل ماتعلق بالذات الانسانية وجوانبها الفكرية، بل حتى في الذات نفسها ومن ثم تضمن للفرد أو القارئ المتلقي للنص نوعا من الحرية في التصرف مع النص، لاسيما عن طريق الكتابة، ولما كانت التفكيكية بهذا الشكل جعلها تكسب نوعا من المصداقية بين باقي التيارات الفكرية المختلفة، لأنها تجعل من الذات تتعامل بحرية مع النصوص وفي إتجاهات مختلفة، فهي تيار يساير الكل بعيدا عن المركزية الغربية سواء في العقل أو الفكر وغيرها من الأمور المعرفية المتعددة.

فالعمل الذي قامت به البنيوية هو التأسيس للأدب على نوع من الصورنة النصية واللغوية، فالنص الادبي بالنسبة لذلك هو مجرد تمثل لبنية كلية عامة، أي وضع النسق والايمان بالبنية الكلية على حساب المعنى، لكن النص دائما نجده يحمل تلك الإختلافات التي لايمكن أن نفصل فيها بين داخل وخارج النص عكس ما أشارت إليه البنيوية في وضع حد بينهما، بل ذهبت الى نفي الخارج لأنه في نظرها لا يشكل تلك البنية العامة للنص.

في حين يعتقد "دريدا" من خلال قوله: " أنه من غير الممكن الانغلاق داخل النص الأدبي، وإن المحايثة أو الباطنية الأدبية المحضة تقوم في نظري على الإحتماء داخل الحدود المقامة تاريخيا، والتي تفترض مجموعا كاملا من العقود التاريخية المتعلقة بتأطير النص، وتحديد وحدته...إننا لا نستطيع أن نبقى داخل النص".[(11)]

الأمر الذي جعله يقوم بتفكيك هذه الثنائية (داخل وخارج) فهناك شبكة معقدة من العلاقات التي لا تسمح بإجراء هذا الفصل المطلق بين الداخل في النص وخارجه، فلكل منهما إمتدادات في الآخر، لأن النص قد يستعين بأحدهما لمسايرة الآخر حتى يستطيع النفاذ إلى تلك الشبكة المعقدة وطرحها على الوجه الملائم الذي يسمح للقارئ بفهم خباياها وصبر أغوارها.

5. "جاك دريدا" ونقد ميتافيزيقا الحضور:

لقد جعل "جاك دريدا" من تفكيك الأنساق الميتافيزيقية التي شيدها العقل المحض هدفا لمشروعه التفكيكي"[12] الذي جاء نقدا للنسق المفهومي للمركزية العقلية للتفكير الغربي التي عملت على حماية بنيات العقل واللغة والكتابة من خلال قولها بالحقيقة والأصل والحضور عن طريق:

1- إرساء بؤرة تسمح للمعرفة أن تنتظم حول حقيقة أكيدة، تقدم نفسها كمطلق.

2- الحد من المعاني المتاحة، وهو ما يقيد الطريقة التي من خلالها نفهم نصا ما أو حقلا معرفيا،

لذلك فإن أي توليد أو لعب حر للمعاني يتم كبحه. حيث يقول في ذلك: "إذا كان التفكيك مدمرا حقا ... فيدمر ما شاء من الأبنية القديمة المشوهة من أجل أن نعيد البناء من جديد ... فلا يحس بقيمة التفكيك إلا المبدعون في إعادة البناء."[13]

ففلسفة دريدا عبارة عن سياسية بالمعنى الحصري لهذه الكلمة تقوم على نقض المركز والتمركز (الصوتي) الذي من شأنه أن يحرر مكبوتات الهامش والمستبعد، فهو فراسة وسياسة نقد السلطة أيا كانت (سلطة التراث، سلطة التمركز، سلطة المطلق).[14]

يرفض "دريدا" ميتافيزيقا الحضور التي تنتهي إلى تكريس معاني ودلالات سابقة في الوجود على اللغة، والتي يقصد بها الفلسفات المثالية التي هيمنت على الفكر الغربي، ويعني الحضور حضور الموضوع أمام الذات وفي الوعي بإدراكه دون وسائط وعلامات، والحضور يسبق اللغة والدلالة بالاعتقاد بوجود معنى أو حقيقة أو أصل خارج اللغة. فبالنسبة له لا يوجد حضور خالص ومباشر بل هناك حركة الاختلاف والأثر والمغايرة وبالتالي تحطيم أي موقع سلطوي. " فلا يوجد شيء خارج النص" فالنص هو الذي يتكلم، وليس الأصل الثابت، الخارجي أو الحضور السابق على شروط الإختلاف.[15] بهذا فقد إستغنى " دريدا" عن " الذات" في فلسفته والتي أطلق عليها "فلسفة بدون مركزAcenrrée) أي بدون مركزية العقل.[16]

ويستهدف التفكيك تاريخ الفلسفة بوصفه تجليات الميتافيزيقا التي تتكلم عبر الحضور: حضور المعنى وتمثله من طرف الذات، بداهة الإحساس بالنسبة إلى الجسد، خلوص الوعي وشافيته، كما تبتغي الميتافيزيقا أيضا حضور التأسيسات الأصلية بالبحث عن مبدأ أصلي أو فكرة ثابتة لكل معرفة أو تصور أو سلوك. الأمر الذي جعل " دريدا" يقوم بتقويض مبدأ إيجاد مبدأ أولي منذ "سقراط" إلى "هيدغر" مرور "بديكارت" و"نيتشه"، و"هوسرل".[17] يرى "دريدا" أن تفسيراته لنصوص "أفلاطون" و"روسو" و"ماركس" و"هيدجر" هو نوع من الوفاء لهم. لكنه يتصور الوفاء لا بوصفه عرضا مخلصا لما كانوا يريدون قوله فهذا في رأيه مجرد مساهمة في عملية دفن الموتى، إنما الوفاء الحقيقي يكون في المساءلة النقدية لما قدموه.[18]

بهذا يقوم بقراءة التراث الفلسفي الغربي من خلال الكشف على لعبة الأضداد، والتي تؤول في الغالب إلى حجب حركة النقض والتفكيك الداخلية التي يتضمنها النص الفلسفي، الذي يعمد إلى الكشف عن التناسق البنيوي لوحداته ودلالاته، وحجب اللعبة التناقضية التي تنخره من الداخل وتجعله عرضة للالتباس والتعددية والاختلاف في الهوية عينها.[19]

6. القراءة التفكيكية للنصوص عند "جاك دريدا":

بين "دريدا" في منهجه التفكيك كيفية قراءة النصوص وفهم طبيعة النصوص المكتوبة، ويعتقد أن كل النصوص تحتوي على تناقضات وثغرات وجب علينا البحث عنها واكتشافها حتى في أبسط النصوص وأكثرها بداهة التي تتضمن في ما يسميه بالمعضلة " Aporia (وهي من الكلمة اليونانية القديمة التي تعني الطريق المسدود، واللغز، التناقض.")، وبالتالي فالمنهج التفكيكي يوسع من فهمنا لهذه النصوص. ويتجه " إلى هدم الصعود المنتظم نحو المعرفة المطلقة عبر حركة جدلية يحكمها قانون السلب أو النفي.[20] ومن المصطلحات التقنية التي أدخلها في منهجه التفكيكي هي مصطلح الإختلاف والإرجاء أو التأجيل.

إن الاختلاف كلحظة مجاوزة للميتافيزيقا، عبارة عن ممارسة الدخول في العلاقات المختلفة مع النصوص. إنه ليس إختلافا أنطولوجيا، ولا هو إختلاف بين أشياء معينة، بل إختلاف علاقات تظل قائمة في الكتابة، يتوجب على "الغراماتولوجيا" تولي مهمته. وقد أدى هذا المنظور الفلسفي الإختلافي الذي قام "دريدا" على تعزيزه والنضال من أجل تحقيقه في مجمل كتاباته إلى إسقاط نموذج الإحالة كما كانت تُعرفُ في الدراسات النقدية واللسانية.[21]

لقد ترتب عن ذلك تغيير "جاك دريدا" في كتابه هوامش الفلسفة لفظ الإختلاف من Différence إلى لفظ جديد هو Differance ويعني به إعادة الوضع في فترة لاحقة أي التأجيل بعد التخلف عن الركب ضمن

مدلول متردد بين الفعل والانفعال. هكذا يأخذ الإختلاف عند "دريدا" بعين الإعتبار حركة إنتاج نسق من الفوارق بطريقة منتظمة وذلك بتفضية الإختلافات ضمن حركة إقتصادية تتمثل في الإرجاء والتأخير وتزين الحاضر بصفة عامة وذلك بإبقائه معروضا ضمن إمكانية الفقدان دون تحفظ. بهذا المعنى يقوم الإختلاف عند "دريدا" بالتفضية المكانية والتأخير الزماني بصورة أصلية قصد القيام بتفكيك كل أصل.[22]

وهكذا تصبح إستراتيجية التفكيك بما هي مجاوزة للميتافيزيقا، عملية تصدع وخلخلة للنصوص والمعاني باعتبارها أثرا موشوما على النص الميتافيزيقي، وتكون عملية الخلخلة محوا للأثر، ثم يصبح التفكيك ممارسة لعملية التخصيب المستمرة للنصوص والكلمات وإبرازا للإختلافات التي توجد فيها، لأن الإختلاف عملية إستراتيجية هنا وليس مفهوما أو تصورا، وهذا ما يجعله غير قابل للترجمة[23]. ويقول في كتابه " الإختلاف والتكرار: " قبل الحديث عن إختفاء الكلمة لابد من التفكير في وضع جديد لها، لإخضاعها في بنية لا تعود فيها السيد المطلق."[24]

وعليه تتبدى طبيعة النص كشبكة من الإقتباسات والتحويلات لنصوص سابقة، تقاوم كل تفسير أحادي، يقمع حريتها في الإنتشار، لذلك فإن أية قراء واعية وفعالة ينبغي أن لا تقرأ النص في وحدته وسكونه، بل في تعدده وتوتره، لأن عملية الربط بين الأنساق والدلائل المتغايرة للنص، تتطلب إنتاج استراتيجيات متعددة من التركيبات والإحالات والتوازيات، وأمام تعدد هذه العناصر فإن إحتمالات الربط تتعدد ولا تخضع لأي تراتبية تعلي من عنصر على حساب عنصر آخر.[25] يقول "دريدا في هذا: "أما لعبة الإختلافات فتتطلب تركيبات وإحالات تمنع أن يكون أي عنصر بسيط، في أي لحظة وبأي شكل من الأشكال، حاضرا في ذاته ولذاته... فإن أي عنصر لا يمكنه أن يشتغل كدليل دون الإحالة على عنصر آخر لا يكون هو نفسه حاضرا حضورا بسيطا. هذا التسلسل يجعل من كل عنصر (وحدة صوتية كان أو خطية) متكونا إنطلاقا مما يوجد فيه من العناصر الأخرى من السلسلة أو النسق. إن التسلل أو النسيج هو النص الذي لا ينتج نفسه إلا من خلال تحويل نص آخر."[26] أي تحرير النص من القراءة الأحادية وجعله مفتوحا على تعدد القراءات.

بهذا يصبح النص استراتيجية معقدة من العلاقات والمرجعيات والإحالات، لا يمكن إختزالها إلى مفهوم مجرد واحد. ويصبح النص حسبه آلية تشتيت تنتج سلسلة من الإحالات اللامتناهية، ويحيلنا هذا إلى ما يعرف " بالتأويل اللامتناهي للنص" الذي يعتبر دريدا من أبرز ممثليه، فالتفكيك باعتباره "إستراتيجية قراءة، لا يبحث عن الإنسجام، بل يؤكد الوجود الدائم للإختلاف والمغايرة، وغياب أية حدود تقف عندها الدلائل."[27] الأمر الذي جعله يعطي أهمية لفعل الترجمة أين ينتقل النص فيها من لغة إلى أخرى لكي يحافظ

على إستمراريته وتدفق معانيه، حيث يقول: "إن العمل لا يعيش مدة أطول بفضل ترجماته، بل مدة أطول وفي حالة أحسن، إنه يحيا فوق مستوى مؤلفه"[28] الأمر الذي يؤدي بالمؤلف إلى عجزه عن بسط سلطته على النص لحصر معانيه وضبطها والتحكم في المتلقي مهما تنوعت مشاربه الثقافية واللغوية، فالترجمة بهذا تنفلت من أي رقابة شعورية وتجعل المعاني في إختلاف عن ذاتها، عبر التجول في الأحقاب واللغات.[29]

وبالتالي قد تكون الحقيقة في النص الثاني مؤقتة في ظل غياب ترجمة نهائية ومتمكنة، تسمح بتفكيك لغة الأصل تفكيكا تاما قصد الوصول إلى المعنى المقصود من طرف المؤلف، فالمترجم قد لا يقدم نصاً مكتملا لأن اللغة تضل دوماً لغة أخرى، إلا أن الأصل لا بد له من أن يظهر، فهو في حاجة إلى الترجمة، أي يعبر عن رغبته في البقاء والحياة، "فكما لو أن النص يشيخ في لغته فيشتاق إلى أن يرحل ويهاجر ويكتب من جديد، ويتلبس لغة أخرى، وكما لو أن كل لغة تصاب في عزلتها بنوع من الضمور، وتضل ضعيفة مشلولة الحركة، متوقفة عن النمو. بفضل الترجمة، يكتب "جاك دريدا"، أعني بفضل هذا التكامل اللغوي الذي تزود عن طريقه لغة أخرى بما يعوزها، وهي تزودها به بكيفية متناسقة، فإن من شأن هذا الإلتقاء (croisement) من شأن هذا التلاقي بين اللغات أن يضمن نمو اللغات وتزايدها. "[30]

7. في نقد التفكيك:

إذا كان "جاك دريدا" ينظر إلى التفكيكية على أنها ليست تحليلا، ولا نقدا فهذا لا يعني بأنها غير معرضة لذلك، فقد تعرضت التفكيكية لإنتقادات عنيفة، سواء في شقها الأدبي أم الفلسفي، فهناك من النقاد الغربيين والعرب من قاموا بتوجيه سهام النقد لمسألة التفكيك، فمن العرب نجد "عبد الله إبراهيم"، "سعيد الغانمي"، وعواد علي"، و"عبد الله الغذامي" الذي يعد من أبرز الدارسين الذين تبنوا التفكيكية من منظور النقد الأدبي إذ طرح ذلك في كتابه "الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية "، وقد اختار لمصطلح "التفكيكية" لفظة "التشريحية"، وهي في نظره اللفظة المناسبة التي "تؤكد قيمة النص وأهميته"[31]. وذلك طبعا بعد أخذ ورد في اختيار المفهوم المناسب، فكان إستقراره عند هذا المفهوم بعد أن رأى فيه ما يسمح بتفكيك النص من أجل إعادة بنائه والتفاعل معه من جديد.

وعلى غرار "الغذامي" فقد ذهب هؤلاء الثلاثة الذين تم ذكرهم إلى توضيح مسألة الشك الدريدي في "البنيوية" من خلال قوله:"إن البنيوية تعيش حالة إنقسام بين ما تعد به وبين ما أنجزته، أو حققته، وفيما تعلق الأمر بعلم الأحياء أو باللسانيات، أو بالأدب فإن السؤال الذي يظل قائما هو هل بالإمكان تحقيق كلية منظمة دون الأخذ بالإعتبار ما تهدف إليه، أو دون إفتراض معرفة ذلك الهدف على الأقل".[32] فكانت بذلك تيارا مضادا للبنيوية التي حاولت رسم آليات إنتاج المعنى وخلقه، فكان شعارها (النص وليس شيء غير

النص). ومن ثم "إستكانت لافتراض التناسق في بنية النص الأدبي بناء على منطق وقوانين لغوية صارمة وحاسمة، لا تقبل النقص أو التعديل، أو التغيير ،ولا تتأثر بأي شيء خارج نطاقها، لذلك لجأت التفكيكية إلى التشكيك في العلامة اللغوية ذاتها، وفي منطق إتساقها وقوانينها، إذ لم يعد النص في نظرها يمثل بنية لغوية متسقة منطقيا تخضع لنظم دائمة وتقاليد ثابتة يمكن رصدها، بل يمثل تركيبة لغوية تنطوي في داخلها على تناقضات وصراعات وكسور وشروخ وفجوات وثغرات عديدة جعلت النص قابلا لتفسيرات وتأويلات لا نهاية لها". (33)

لقد شككت التفكيكية في كل شيء، فذهبت إلى العلاقة القائمة بين الدال والمدلول، لاسيما ما تعلق بالمعنى المتولد عنهما، ولم تكترث لمسألة اللغة فلم تركز على محتوياتها بقدر تركيزها على الكتابة مما جعلها عرضة للنقد الأدبي بالدرجة الأولى.

إن التفكيكية قضت عل المؤلف والنص في نفس الوقت عن طريق تقويضها لمختلف التفسيرات التي تضفي إلى مقصديتهما، أي المؤلف والنص معا، وهذا ما طرح مجموعة من المشاريع الغربية كمشروع "أمبرتو إيكو" الذي حاول إستعادة التأويلية التي جاء بها كل من "شلايرماخر" و"دلتاي"، فقد عمل على بعث التأويل كطريقة تسمح بالإشتغال حول النصوص وتفسيرها، ومن ثم كشف المعنى المراد من النص. والإنقلاب الذي جاء به "هبرماس"، على التفكيكية والعودة إلى الهرمينوطيقا من أجل محاولة إعادة الإعتبار للمؤلف والنص معا.

و ما يلاحظ على التفكيكية كذلك أنها "رؤية فلسفية غامضة في طرحها النظري والمنهجي، وأن مقولاتها ومفاهيمها أكثر تعقيدا وصعوبة وإبهاما، فإذا أخذنا - مثلا- مصطلح التفكيك عند ديريدا، فيختلف عن مفهوم التفكيك عند البنيويين، فهو عند البنيويين إيجابي يحترم ثوابت العقل والمنطق واللغة الكلامية. في حين، يعني التفكيك عند "ديريدا" الهدم، والتقويض، والتشتيت، وبعثرة الدلالات المختلفة بشكل عدمي وسلبي".(34) كما أن الكثير من الباحثين يتفقون على أن التفكيكية قد ابتعدت كثيرا عن أفكار "جاك ديريدا" كما طرحها في أصولها الحقيقية. ولم يلتزم أصحابها بوعود "ديريدا"، ولم يتقيدوا بشروطه النظرية والتوجيهية التي من شأنها خدمة التوجه الذي كان يعنيه بذلك(35). وهذا ما جعل البعض يقول بأنه على التفكيك أن يقوم بتفكيك نفسه أيضا.

8. خاتمة:

لقد سعت تفكيكية "جاك دريدا" إلى القضاء على المركزية الغربية التي ساهمت في تكريس الفلسفة الميتافيزيقية في أوروبا وتجاوز فكرة الثبات إلى فكرة التحول والحركة، فلا شيء ثابت متمركز وإنما هناك

مراكز متحركة نسبية وغير قابلة للكمال بحكم لا محدودية الفكر، فكل أمر قابل للتشكيك ولا يمكن قبوله في صورته التي يتجسد من خلالها، فمرتكزات التفكيك عند "دريدا" بما هي منافية للبنيوية هي متقاطعة مع ما بعد الحداثة من خلال نقد مفهوم السلطة بكافة صورها من جهة والتمرد على كافة أشكال الثنائيات من جهة أخرى. ففكرة الإختلاف التي وجدها في اللغة هي التي جعلته يحدد منطلقاته في هذه المسيرة التفكيكية، حيث لا يوجد في اللغة إلا ماهو مختلف "فكل نص هو مسرح للإختلاف"[36] كما يقول "رولان بارت"، وهنا كانت البداية للوحة التفكيكية التي رسمها "دريدا" من خلال النص وفي جميع مجالات الفكر لا سيما الأدب والفلسفة التي مهدت لفكره الحر واللامحدود، فكان المخرج من دائرة التهميش، والمركزية الغربية التي هيمنت على الكل.

9. الهوامش:

*- د/ عبد الحميد واضح، أستاذ محاضر (ب)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة البليدة2.

** ouadahabdelhamid@gmail.com

1- دوكرو اوزوالد، شافار جان ماري، المعجم الموسوعي الجديد في علم اللغة، ت المهيري عبد القادر، صمّود حّمادي، دار سيناترا، تونس، 2010، ص 501.

2- بول ريكور، النص والتأويل، ت: منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، عدد 3، 1988، ص 37.

3- بول ريكور، النص والتأويل، مرجع سابق، ص17.

4- عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، دار النهضة العربية،بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 238.

5- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 140.

6- رويد عدلان، أثر التفكيك في تأسيس لخطاب ما بعد الكولونيالية، ضمن فعالية المؤتمر الدولي: جاك دريدا بين النقد الأدبي والفلسفة، منشورات AGP بئر الجير، وهران، الجزائر، 2014، ص 68.

7- عاصم عبد الله، جاك دريدا ثورة الاختلاف والتفكيك، مكتبة الانجلو، القاهرة، ط1، 2008، ص16.

[8]- بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء للطباعة والنشر، السكندرية، مصر، ط1، ص 158.

[9]- قواسمي مراد، الجينيالوجيا بين سؤال المنهج والتطبيق التاريخي، ضمن كتاب جماعي :من مناهج النقد الفلسفي، دار الغرب للنشر، وهران، الجزائر، 2007، ص 69.

10- وليد عثماني، التفكيك: الجينيالوجيا، المقولة والمصطلح، جاك دريدا، كتاب جماعي، اشراف شوقي الزين، منشورات الاختلاف، دار الفارابي، 2011، ص 31.

11- جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، ت كاظم جهاد، الدار البيضاء، دار توبقال، ط1، 1988، ص81.

12- بدر الدين مصطفى، فلسفة ما بعد الحداثة، دار المسيرة للنشر والتوزيع،ط1، 2011، ص 48.

13- بن ديدة مختار، أنثوبولوجيا فلسفة ديريدا التفكيكية بين الإنسان الملتزم والفيلسوف المتسامح، (ضمن كتاب فعاليات المؤتمر الدولي حول جاك دريدا بين النقد الأدبي والفلسفة)، منشورات AGP بئر الجير، وهران، الجزائر، 2014، ص 177.

14- صفاء فتحي، من الفكرة إلى الشبح، مجلة أوان، جامعة البحرين، عدد 3-4، 2003، ص 78- 82.

15- محمد بوعزة، استراتيجية التأويل،(من النصية إلى التفكيكية)، منشورات الاختلاف، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2011. ص 61- 66.

16 - أحمد عبد الحليم عطية، نيتشه وجذور وما بعد الحداثة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 138.

17- محمد شوقي الزين، الازاحة والاحتمال، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 37.

18- جاك دريدا، في علم الكتابة، ترجمة أنور مغيث ومنى طلبة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص 47.

19 - محمد شوقي الزين، الازاحة والاحتمال، مرجع سابق، ص158.

20- المرجع نفسه، ص 157.

21 - لحسين أخدوش، جاك دريدا ومسألة الاختلاف، https://www.alawan.org/2013/12/08/.

22- Derrida (Jacques), la différance, in Marges de la philosophie, édition de minuit, Paris, 1972 ,p22.

23- لحسين أخدوش، جاك دريدا ومسألة الاختلاف، https://www.alawan.org/2013/12/08/

24- جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، مرجع سابق، ص 107.

25- محمد بوعزة، استراتيجية التأويل، مرجع سابق، ص 39- 41.

26 - جاك دريدا، مواقع، ترجمة فريد الزاهي، الدار البيضاء، دار توبقال، الطبعة 1، 1992، ص 29.

27- محمد بوعزة، استراتيجية التأويل، مرجع سابق، ص 61.

28 - جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، مرجع سابق، ص 214.

29- عبد السلام بنعبد العالي، الفلسفة أداة للحوار، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،ط1، 2011،ص 53.

30 - المرجع نفسه، ص51.

31 - الغذامي عبد الله، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، ط1، النادي الأدبي الثقافي، 1985، ص 56.

32 - نادية هناوي سعدون،جاك دريدا والتفكيك من منظور الناقد العربي، ضمن فعالية المؤتمر الدولي: جاك دريدا بين النقد الأدبي والفلسفة، منشورات AGP بئر الجير، وهران، الجزائر، 2014، ص143.

33 – راغب نبيل، موسوعة النظريات الأدبية، دار نوبار، القاهرة، ط1، 2003، ص 234.

34 - جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة مابعد الحداثة، المغرب، 2011، ص 59.

35 – المرجع نفسه، ص 60.

36 - 9. Roland Barthes,S/Z paris,Editions du Seuil, 1970,P